الإعلال

ما الإعلال :

الإعلال مصطلح يستعمل في علم الصرف ويراد منه تغيير يطرأ على حرف علة في الكلمة إيثاراً للتخفيف ، ويشمل قلب حرف العلة ، وحذفه ، وتسكينه .

فالفعل قال : أصله : قَوَلَ ، حصل فيه إعلال بالقلب ، إذ قلبت واوه ألفاً لعلة ستعرفها بعد ، والفعل : يَعِد ، أصله : يَوْعِدُ ، لأن ماضيه : وعد ، حذفت واوه في المضارع فحصل فيه إعلال بالحذف . وقولك : يقضي القاضي بالعدل ، سكنت فيه ياء الفعل المضارع وياء فاعله ، وأصلهما الرفع ، وذلك تخففاً من ثقل الرفع على اللسان ، وإيثاراً لخفة النطق ، وعلى هذا يكون إعلالهما بالتسكين .

وتوضيح ذلك أن الحروف والحركات أصوات تختلف وتتنوع لتؤدي أغراض المتكلم ، وتعبر عن مقاصده . ومن الطبيعي أن يؤدي اختلافها وتنوعها إلى إحدى حالين :

ـ الانسجام الصوتي .
ـ التنافر الصوتي .

فالحروف الصامتة مثلاً يمكن أن تقع مباشرة بعد أية حركة من الحركات الثلاث : الضمة أو الكسرة أو الفتحة . سواء أكانت ساكنة أم متحركة ، كالحاء والراء في الكلمات الآتية :

أُحْبُ ، اِحْترم ، أَحْمَدُ ، قَبُحَ ، فَرح ، سَمَحَ ، جَرْمٌ ، سِرْبٌ ، دَرْبٌ ، كَبُرَ ، سَخِر ، صَبَرَ .

وليس في ذلك أية صُعوبة في النطق ، ولكن أحرف العلة الثلاثة (ا ، و ، ي) تختلف عن الحروف الصامتة ، إذ لا بُد لكل منها من حركة سابقة تجانسه ، فمثلاً لا يمكن أن تسبق الواو الساكنة بكسرة (ـِ وْ] ، ولذلك لا يُقال : مِوْزان ، ومِوْعاد ، ومِوْقات ، كما يقال : مِنْشار ، ومِفْتاح ، ومِرْقاة ، بل لا بد من قلب الواو ياء تجانس الكسرة : ميزان ، ميعاد ، ميقات .

وكذلك لا يمكن أن تُسْبق الياء الساكنة مثلاً بالضمة [ـُ يْ] ، إذ لا يُقال : مُيْقِن ، ومُيْسِر ، بل تقلب الياء واواً ، فيقال : مُوْقن ، ومُوْسر .

ومع ذلك لو كلفت نفسك قراءة الياء الساكنة بعد الضمة ، أو قراءة الواو الساكنة بعد الكسرة لأمكن ذلك ، واستطعت أن تنطق كلاً منهما ، غير أنك تُحِس بثقل النطق .

وهناك حالان لا يمكن أن تُنْطَقا ، وهما وقوع الضمة أو الكسرة قبل الألف ، أي [ـُ ا] و [ـِ ا] فلو أردت تصغير « شاعر » اضطررت إلى ضم الشين للتصغير ، وصار النطق كما يلي : شُأْيِعرٌ . وهذا متعذّر مستحيل ، ولا بد حينئذٍ من قلب الألف واواً تجانس الضمة ، فتقول : شُوَيْعِرٍ . وكذلك تفعل في أمثال هذا ، تقول : شُوهِدَ ، وقُوتِل ، وقوبلَ .

ولو أردت أن تجمع « مفتاح » لاضطررت أن تجعل الجمع على « مفاعيل » ، أي لا بد من كسر التاء قبل الألف ، فتكون صورة النطق : [مَفَـاْتِاْح] . وهـذا متعذر أيضاً ، ولا بد من قلب الألف يـاء تجانس الكسرة : مفاتيح .

هذا إذا كانت أحرف العلة ساكنة ، أما إذا كـانت الواو أو اليـاء متحركة ، أو كانتا في حالِ إدغام مع مماثل فإن الأمر يختلف ، تأمـل الأمثلة التالية :

عِوَضٌ ، حِوَلٌ ، عُيَيَة ، سُيَرَةٌ[1] .

لقد ثبتت الواو بعد قبل الكسرة ولم تقلب ياء ، وثبتت الياء بعد الضمة ولم تقلب واواً ، لأنهما غيرُ ساكنتين .

ويقال : اِجْلِوّاذٌ، وافرِوّاطٌ[2] فقد سبقت الواو الساكنة بكسرة ، ولم تقلب ياءً ، لأنها مدغمة على أنهم قالوا أيضاً : اجليواذ ، واخريواط .

الإعلال بالحذف

مرّ بنا من قبل أن الفعل الماضي المبدوء بالواو أو الياء يسمى في مصطلح علماء الصرف : مثالاً ، وفي تصريف هذا نجد الواو خاصة تحذف في الفعل المضارع ، وفعل الأمر ، تقول : وعد يعد عد ، وورد يرد رد .

غير أن هذا ليس مطرداً في كل فعل أوله واو ، ذلك أن الإعلال بالحذف يجري على سَنَن دقيق في العربية ، وذلك على الشكل التالي :

١ ـ ما كان مكسور العين في المضارع حذفت واوه حتماً ، مثل : يرد ، ويعد ، ويزن ، ويرم ، ويصف ، و . . .

---

(١) رجل عُيَية : كثير العيب للناس . ورجل سُيَرة : كثير السير . فهما صيغتا مبالغة .
(٢) اجلواذ وافرواط : كلتاهما للسرعة في السير .

٢ ـ ما كان مفتوح العين في المضارع له استعمالان ، فإن كان مفتوح العين في الماضي أيضاً حذفت واوه ، مثل : يضَع ، ويقع ، ويهب ، و . . . لم يشذ من هذا إلاّ ثلاثة أفعال غريبة نادرة الاستعمال . أما إن كان مكسور العين في الماضي فإن واوَه تثبت في مضارعه وأمره ، مثل : وجِل يَوْجَل ، ووجِل يَوْجَل . وشذت منه كذلك أربعة أفعال غريبة حذفت منها الواو .

٣ ـ وإن كان مضموم العين في المضارع ثبتت الواو حتماً مثل : يَوْضُؤُ ، ويَوْبُلُ .

هذا ما يدل عليه استقراء العربية نفسها ، وللقدماء في هذه الظاهرة كلام طويل ، وعلل غير صحيحة ، رأينا من الأفضل أن نستغني عنها في هذا الكتاب .

الإعلال بالتسكين

١ ـ حذف حركة حرف العلة :

تحذف حركة حرف العلة (الواو والياء) إذا كانت ضمة أو كسرة إذا وقع متطرفاً في كلمة ، مثل : يدعو الداعي إلى النادي .

وعلة هذا الحذف إنما هي إيثار الخفة ، ولهذا لا نحذف الفتحة لخفتها مثل : لن يدعوَ الداعي إلى النادي . ورأيت النادِيَ مكتظاً برواده .

ويشترط في حذف حركة حرف العلة أن يكون ما قبله متحركاً كما مرّ بنا ، أما إذا كان ساكناً فلا حذف ولا تسكين كقولك : شربت الماء من دَلْوٍ ، ومر بنا ظَبْيٌ شارد .

٢ ـ نقل حركة حرف العلة :

ويلحق بهذا الاعلال نقل حركة حرف العلة إلى الساكن قبله ،

وإبقاؤه ساكناً بعد النقل مثل : يقول ، أصله : يَقْوُلُ . نقلت حركة الواو إلى القافْ قبلها ومثل : يبيع ، أصله : يَبْيِعُ ، كيعرض ، نقلت حركة الياء إلى الباء قبلها .

وأحياناً ينجم عن النقل والتسكين التقاء ساكنين وحذف أحدهما كما في : مَقُول ومَبيع ، أصلهما : مَقْوُوْل ومَبْيُوع ، نقلت حركة كل من الواو والياء إلى الحرفين الساكنين قبلهما فالتقى في كل منهما ساكنان ، فحذف أحدهما[1] ، فصار الأول: مَقُول والثاني مَبِيع .

الإعلال بالقلب

أولاً : قلب الواو والياء ألفاً :

تقلب الواو والياء ألفاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما فتحة أصلية ، على ألاّ يجتمع في الكلمة الواحدة إعلالان[2]، مثل: رمى، أصله: رَمَيَ، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فتحةً أصلية فقلبت ألفاً ، ومثل دعا ، أصله : دَعَوَ ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، وكذلك : قال وباع ، أصلهما : قَوَلَ وبَيَعَ . وشذ من ذلك قولهم الخَوَنَةُ ، والحَوَكَةُ ، وكان القياس : الخانة ، والحاكة[3] ، كما قالوا : القادة ، ومثل ذلك في الشذوذ قولهم : الخَوَلُ ، والقَوَدُ ، ويقال : رجل حَوِل ، أي كثير الحيلة .

---

(١) اختلفوا في المحذوف هنا ، فذهب بعضهم إلى أنه واو مفعول فيكون وزن (مَقول) مَفْعُل، ووزن مبيع : مَفِعْل ، وذهب آخرون الى أن المحذوف عين الكلمة فيكون وزن مقول مفول ، ووزن مبيع : مفيل .

(٢) هناك تفسيرات أخرى ذكرها بعض المستشرقين مثل كانتينو ، وفليش ، وبلاك ، وهي تفسر بعض الظواهر دون بعض ، وإلى أن تظهر نظرية ذات شمول تبقى آراء القدماء هي الصحيحة . أنظر آراء المستشرقين في : دروس في علم الأصوات العربية . كانتينو : ص ١٣٧ وما بعدها ، والعربية الفصحى لهنري فليش : ص ٢٠١ وما بعدها .

(٣) قيل في جمع : حائك « حوكة ، وحاكة » .

(٤) الخَوَل : العبد والأمة .

(٥) القَوَد : القِصاص .

أما : بقِيَ ، وخشيَ ، ولقِيَ ، وهوِيَ ، وأمثالها من الكلمات ، فلم تقلب ياؤها ألفاً لأن ما قبلها مكسور لا مفتوح . وكذلك صحت الواو والياء في مثل معاوَنَةٌ ، ومعايَنَةٌ ، لأن ما قبلهما ألف ساكنة ، وصحت الياء والواو في : الحُطَيْئة[1] ، وضَوْءٌ ، لأنهما ساكنان .

وأمّا طَوَى ، فأصله : طَوَيَ ، تحركت الياء وفتح ما قبلها فتحةً أصلية ، فقلبت ألفاً ، أما الواو فلم تقلب ألفاً على الرغم من أنها متحركة وما قبلها مفتوح لئلا يجتمع في الكلمة إعلالان[2] ، وكذلك : هَوى أعلت فيه الياء فانقلبت ألفاً ، ولكن الواو لم تعلّ ، لئلاّ يجتمع إعلالان في كلمة واحدة ، ومثله : حَوَى، وأَوَى، وروى.

وأحياناً لا تكون الواو أو الياء ذات حركة وقت الإعلال ، وتقلب ألفاً باعتبار ما كانت عليه إذ كانت متحركةً مثل : مكان ، أصله : مَكْوَنٌ ، نُقِلت حركة الواو إلى الكاف قبلها ، فقلبت الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها الآن ، وتحركها في الأصل . كذلك : مَقال ، أصله : مَقْوَلٌ . ومجال ، أصله مَجْولٌ ، وأقام ، أصله : أقْوَمَ ، وأجاد ، أصله : أَجْوَد ، وأبان ، أصله أبين ، وهكذا .

وقد شذت كلمات من هذا مثل : استَحْوَذَ عليه ، واستْوقَ الجمل . وأغْيَلَتْ المرأة ، واسترْوَحَ المُتْعَبُ ، وأغْيَمَ القومُ ، وأعْولَتِ المرأة ، وأخْيَلَتِ[4] السماء ، فلم تنقل الحركة ، ولم تقلب الواو والياء وكان القياس فيها استحاذ ، واستناق ، وأغالت ،و . . .

هذه هي القاعدة العامة لقلب الواو والياء ألفاً ، إلا أن هناك حالاتٍ لا يتم فيها هذا القلب ، وذلك إذا وقعتا عيناً أو لاماً في الكلمة على الشكل التالي :

---

(١) الحطيئة : الرجل القصير الدميم .

(٢) أعلت لام الكلمة ولم تعل عينها لأن إعلال الطرف - كما يقول الصرفيون - أهم من اعلال الوسط .

(٣) أغيم القوم : أصابهم الغيم .

(٤) أخيلت السماء : تهيأت للمطر

أ ـ إذا وقعتا عيناً :

لا تقلب الياء أو الواو ألفاً إذا كانتا عيناً في الكلمة وذلك بالملاحظات الآتية :

١ ـ إذا جاء بعدهما ساكن مثل : غَيُوْرٌ وطَوِيلٌ وبَيان وسَواد و . . . فقد تحركت هنا الياء والواو وما قبلهما فتحةٌ أصلية ، ولكنهما لم تقلبا ألفاً لأن ما بعدهما ساكن .

٢ ـ إذا كانتا في اسم أو مصدر على وزن (فَعَلان) مثل : حَيَوان هَيَمان ، زَوَغان ، جَوَلان ، طَيَران ، طَوَفان ، حَيَدان ، دَوَران[1] .

٣ ـ أن تكون الواو أو الياء في فعل معتل الآخر على وزن (فَعِل) مثل : هَوِيَ ، وحَيِيَ .

٣ ـ أن تكون الواو أو الياء عيناً في فعلٍ أو مصدرٍ الصفة منه على وزن (أفْعَل) ، مثل : حَوِرَ ، سَوِدَ ، هَيِفَ ، هَيَفٌ ، فالصفات منها : أحور ، وأسود ، وأهيف . ويلحق بهذا اسم التفضيل ، تقول : هذا أبين من ذاك . وكذلك يلحق به فعل التعجب لأنه يشابهه في الوزن تقول : ما أبْيَنَ قوله ، وما أقْوَمَ لسانه . ولولا ذلك لكان يجب أن يقال : هذا أبانُ من ذاك . وما أبانَ قوله . وما أقام لسانه . إذ تنقل حركة حرف العلة إلى ما قبله ، ويجري الإعلال كما بينا قبل قليل .

٥ ـ أن تكون الواو خاصة في فعل على صيغة « افتعل » ، وفيه معنى المشاركة ، مثل : ازدَوَجَ ، واجتور[2] . وإذا خلا الفعل من معنى المشاركة أعلت الواو ، كما في الفعل : ارتاد ، والفعل : اختان ، كقوله تعالى : « علم الله أنكم كنتم تَخْتانونَ أنفسكم فتاب عليكم » (البقرة ١٨٧) .

---

(١) بعض العرب يعل مثل هذا .

(٢) اجتوروا : تجاوروا . صحت الواو ؛ لأنه في معنى ما لا بد له من أن يخرج على أصله لسكون ما قبله .

٦ ـ ولا تعل الواو والياء فيما كان من الأسماء على وزن : فَعْلَل ، لأنهما فيه للإلحاق باسم جعفر ، مثل : جَهْوَر ، ومَرْيَم[1] .

ب ـ إذا وقعتا لامين :

إذا وقعتا لامين فلا تقلبان ألفاً إذا وقع بعدهما ألف ساكنة ، أو ياء مشددة مثل : رَمَيَا ، عَصَوان ، فَتَيان ، عَلَويٌّ ، عَصَوِيٌّ ، وكذلك : النزوان ، والغليان .

ثانياً: قلب الواو ياء:

تقلب الواو ياء في حالين : إذا سبقت بكسرة وهي ساكنة أو متحركة ، وإذا اجتمعت هي والياء في كلمة واحدة .

أ ـ قلبها ياء بعد الكسرة:

١ ـ تقلب الواو الساكنة لغير الإدغام ياء إذا وقعت في حشو الكلمة ، وسبقت بكسرة ، مثل : ميزان ، وميعاد ، وحيلة ، وديمة . فأصل الأولى : مِوْزان ، لأنها اسم آلة مشتق من مصدر الفعل : وَزَنَ . والثانية مصدر للفعل : وَعَدَ ، فأصلها : مِوْعاد ، وحيلة وديمة أصلهما : حِوْلة ودِوْمَة . أما إوَزَّةٌ ، وعِوَضٌ ، فلم تقلب فيهما الواو لأنها متحركة لا ساكنة.

٢ ـ أما الواو المتحركة فتنقلب ياء إذا وقعت متطرفة بعد كسرة ، نحو : رضي ، أصله : رَضِوَ ، لأنه من الرِّضْوان ، ومثله : دُعِيَ ، وهو مبني للمجهول من الفعل : دعا يدعو. ومثله : الغازي ، أصله : الغازِوُ ، لأنه اسم فاعل من مصدر الفعل : غزا يغزو ، والداعي ، مِثْلُهُ . ولا يهم أن يقع بعد الواو زيادة لمعنى ، كتاء التأنيث ، وألف المثنى أو يائه ،

---

(١) في (مريم) وجه آخر.

تقول : رضِيت ، ودُعيتُ ، والداعِيَة والغازِيَة ، ورضيا ، ودُعِيا، والداعِيان والغازيان .

٣ ـ وتقلب الواو المتحركة ياء أيضاً في حشو الكلمة إذا جاء بعدها ألف زائدة وما قبلها مكسور ، في مصدرِ فعلٍ أجوف أعلت فيه الواو إعلالاً ما ، نحو : قيام ، وصيام ، فأصل الأول : قِوام ، والثاني : صِوام ، أما سِوار فلم تقلب واوه ياء لأنه ليس بمصدر ولم تقلب كذلك واو : حِوار ، لأن الواو لم تعل في الفعل : حَاورَ ، ولا واو : حِولَ ـ وهو مصدر الفعل الأجوف : حال يحول ـ لأنه لم يأتِ بعدها ألف زائدة ، قال تعالى : « خالدين فيها لا يبغون عنها حِوَلاً » (الكهف ١٠٨) .

٤ ـ وتقلب الواو المتحركة ياء في حشو الكلمة إذا سبقت بكسرة في جمع على وزن فِعال ، أو فِعَل ، على أن يكون المفرد صحيح اللام ، والواو فيه معلة أو ساكنة ، نحو : ديار ، ورِياح، فأصل الكلمة الأولى : دِوار ، والمفرد : دارٌ ، فالواو في المفرد معلة لأن الأصل : دَوَرٌ. وأصل الكلمة الثانية : رِواح ، ومفردها : رِيح ، أعلت فيه الواو فانقلبت ياء .

أما : ثِياب فأصله : ثِواب ، ومفرده : ثَوْب ، واوه ساكنة ، ومثله : حِياض ، وسِياط ، ورياض .

وكذلك الشأن في الجمع : حِيَل ، فهو جمع حِيْلة ، وقد أُعلت في المفرد واوه فصارت ياء ، ومثل ذلك قِيَم ، ودِيَم ، ففي مفرد كل منهما أعلت الواو ، فقلبت ياء لأن أصل : قيمة ، قِوْمة، وأصل : ديمة : دِوْمة .

أما طوال ، فلم تقلب الواو فيه ياء لأن مفرده : طَوِيل، فالواو فيه لم تعل وشذ قول الشاعر :

تَبَيَّنَ لي أن القماءة ذِلّةٌ
وأن أعِزاءَ الرجالِ طِيالُها

وأما : جِواء فلم تقلب الواو فيه ياء ، لأن مفرده : جوٌّ، وهو غير صحيح اللام . قال عنترة :

يا دار عبلة بالجِواءِ تكلّمي
وعِمي صباحاً دار عبلة واسلمي[1]

ب ـ قلبها ياء إذا اجتمعت مع الياء :

وتقلبُ الواو ياء وإن لم تقع بعد كسرة ، إذا اجتمعت مع الياء في كلمة واحدة أو ما يشبه الكلمة الواحدة ، وتدغم في الياء الأخرى ، على أن تكون أولاهما أصيلةً ساكنةً في الأصل ، أي أن تكون غير منقلبة عن شيء، أي ألاّ يكون سكونها عارِضاً، مثل: مَرْمِيّ . أصله: مَرْمُوْيٌ، لأنه اسم مفعول من الفعل الثلاثي رَمَى ، فيجب أن يكون على وزن : مَفْعول . ولكن الواو قلبت ياء لاجتماعها ساكنة مع الياء في كلمة واحدة . وكذلك الشأن في : سيِّد وهيِّن. وقد شذت بعض الأسماء، إذ قالوا: ابن حَيْوَةَ، وقالوا: ضَيْوَنٌ، وكان القياس: ابن حَيّة، وضَيّنَ، أما عُوينَ فلم تعلَّ الواو، لأنها ليست أصلية، بل منقلبة عن ألف: عاين.

وأحياناً يكون اجتماعهما فيما يشبه الكلمة الواحدة ، مثل : معلمِيٌّ ، مدربِيٌّ ، مخرجِيٌّ ، فأصل هذه الكلمات : معلمويَ ، مدربويَ ، مخرجويِ . إذا اجتمعت فيها الواو والياء فيما يشبه الكلمة ، فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء الأخرى .

---

(١) الجواء في البيت ليست جمع «جو» ولكنها موضع سمي بلفظ الجمع.

وهذه الكلمات الثلاث مركبة من مضاف ومضاف إليه ، فهي إذاً ليست كلمة واحدة، غير أن المضاف جزء من المضاف إليه ، وأشبه الضميرُ المضاف إليه حرفاً من حروف العلة .

وقد تكون الياء التي تجاور الواو ياء التصغير ، كقولنا : دُلَيّ ، وجُرَيّ . فأصل الكلمة الأولى : دُلَيْوٌ ، ولكن لما اجتمعت ياء التصغير مع الواو في كلمة واحدة ، قلبت الواو ياء وأدغمت في ياء التصغير . وأصل الكلمة الثانية : جُرَيْوٌ ، قلبت فيها الواو ياء للعلة نفسها ، وشذ من هذا تصغيرهم جدول على جُدَيول ، وأسود على أسيود ، وكان القياس : جُدَيّل ، وأُسَيّد .

جـ ـ قلبها ياء إذا وقعت رابعة أو أكثر :

وإذا وقعت الواو طرفاً في الفعل الماضي ، وكانت رابعة أو أكثر ، وما قبلها مفتوح ، قلبت ياء ، على أن تكون منقلبة أيضاً في الفعل المضارع ، تقول : زَكّيْتُ ، وأعطيت . فالأول من : زكا يزكو ، والآخر من : عطا يعطو ، إلّا أنها لما زيد فيهما حرف ، وقعت الواو رابعة ، وهي في المضارع منهما : يزكي ، ويعطي ، فقلبت في الفعل الماضي ياء ، ومثلهما : أغفى ، وأدنى ، وأعلى .

د ـ قلبها ياء في فُعْلى :

وإذا وقعت الواو لاماً في اسم على وزن: فُعْلى، قلبت ياء، مثل: الدنيا، والعليا، فالأولى من: دنا يدنو، والثانية من: علا يعلو.

هـ ـ شواذ القلب :

قد تقلب الواو ياء لغير علة ظاهرة، كقولهم: غَدْيان، وعَشْيان، وكان القياس فيهما غَدْوان، وعَشْوان، لأنهما من غدوت وعشوت. ومثله قولهم: دامت

السماء تَديم دَيْماً، إذا أمطرت مطراً خفيفاً لا برق فيه ولا رعد، وهو من الواو، لاجتماع العرب على: الدوام، وعلى قولهم هو أدْوم من كذا.

وقد يكون بين الواو والكسرة حرف ساكن ، فلا يعْتدون به ، فيقلبون الواو ياء ، كقولنا : صِبْيَةٌ ، فأصله : صِبْوَةٌ ، لأنه من : صبوت أصبو . إلاّ أن الصاد في « صبية » مكسورة ، ولا يفصل بينها وبين الواو إلا حرف ساكن ، هو الباء ، والسكون يضعف الحرف ـ كما يقول الصرفيون ـ فلم يَعْتَد العرب به ، ولذلك قلبت الواو ياء لهذا ، وكأنها وقعت بعد كسرة . وهذا التحليل يتحسس طبيعة الكلام العربي ، وعفوية النطق فيه .

* * *

وهذه الأضرب من الإعلال تنبع من حس لغوي عند العربي ، فهو يؤثر الخفة ولهذا يقلب الواو ياء إذا وقعت موقعاً تثقل فيه لو بقيت دون قلب ، فمن الصعب عليه مثلاً أن يُبْقِيَ عليها ساكنة بعد كسرة في مثل : مِيزان ، ومِيعاد ، ومن الصعب أيضاً بقاؤها واواً إذا سبقت بكسرة وهي آخر حرف في الكلمة في مثل دُعِيَ ، والغازي ، والراضي .

ولكن لماذا قلبت الواو ياء في آخر الكلمة ، في مثل : دُعِيَ ، ولم تقلب في حشوها في مثل : عِوَض ، وحِوَل ، على الرغم من الملابسات اللفظية الواحدة ؟

إن آخر الكلمة يُعَرَّضُ دوماً للتغير على حين يبقى وسطها محافَظاً عليه ، فالمتكلم الانكليزي لا يكاد يلفظ حرف الراء الواقعة آخراً ، على حين يخرجها إخراجاً كاملاً حين تكون في حشو الكلمة ، وكذلك نرى المتكلم الفرنسي يخفي حروفاً كثيرة في نهايات الألفاظ ، وفي العربية يحمل الحرف الأخير التغيرات الإعرابية ، والحذف ، و . . . ولذلك كان تغيير الواو وإبدالها ياء في مثل : دعي ، أقرب إلى المنطق اللغوي ، من إحداث هذا التغير في حشو الكلمات .

ويَلْفِتُ الانتباهَ في إعلال الواو ، قَلْبُها ياء إذا اجتمعت مع الياء في كلمة واحدة فلماذا لا يَحْصُل العكس ؟

قلنا : إن الغاية من الإعلال إيثار الخفة في الكلام ، فالياء أخف من الواو ، ومن هنا دفع الحِسّ العفوي المتكلم العربي إلى أن يقلب الواو ياء ويدغمها في الياء الأخرى ، فمَـرْمِيّ ، ومَقْضيّ ، ومَعْمِيّ ، أخف على لسانه من : مَرْمُوّ ، ومقضوّ ، ومعموّ ، فإذا كان لا بد من قلب إحداهما وإبدالها بـالأخرى ، كـان قلب الواو يـاء أخف من قلب الياء واواً في الكلمات التي من هذا القبيل .

ويلقانا هذا في قلب الواو ياء في البناء «فُعْلى» فالكلمة تبدو ثقيلة لو بقيت الواو على لفظها ، لأنها مبدوءة بالضمة ، وهي أثقل الحركات ، فإذا اجتمعت مع الواو في ثقلها ، تعثر لسان المتكلم بها ، أو ثقلت عليه ، فكان قلبها ياء مما يخففها ويسهل النطق بها ، فقولك : دُنْيا ، وعُلْيا ، أخف في النطق من : دُنْوى ، وعلوى .

ثالثاً ـ قلب الياء واواً :

١ ـ تقلب ياء المفرد الساكنة واواً إذا سبقت بضمة في حشو الكلمة ولم تكن مشدودة ، مثل : أيْقَنَ ، يُوقِنُ ، مُوقِن ، فالياء من « أيقن » قلبت واواً في : يوقن وموقن ، لسكونها وانضمام ما قبلها ، ومثلها : أيقظه يوقظه فهو موقظ .

أما الياء في « هُيَام ومُيَسّر » فلم تقلب واواً لأنها ليست ساكنة ، فخالفت أحد الشروط . والياء في « بِيض » لم تقلب واواً على الرغم من سكونها وانضمام ما قبلها ، لأنها على وزن : فُعْـل ، ولأنها ليست في المفرد ، ومثلها : بِيضان . وكذلك لم تقلب الياء واواً في قولنا : حُيّض ، لأن الياء مشددة ، فلو قلبت واواً لاجتمعت في كلمـة واحدة واو ويـاء والأولى منهما ساكنة في الأصل ، وهذا يؤدي إلى قلب الواو ياء وإدغامها

في الياء الأخرى ، كما تقضي قواعد الإعلال ، فتعود الكلمة من جديد إلى : حُيّض ، ولذلك لم تكن بهم حاجة إلى هذه العملية .

٢ ـ وتقلب الياء واواً في كل فعل ثلاثي لامه ياء ، إذا أتيَ به على صيغة (فَعُل) مثل : قَضُوَ ، من : قضى يقضي ، ونَهُوَ ، من : نهى يَنْهَى ، ورَعُوَ من : رعى يرعى[١] .

٣ ـ وتقلب الياء واواً إذا كانت لاماً في اسم على وزن « فَعْلَى » ، مثل : تَقْوَى . فهو من الفعل : وَقى يقي[٢] . وكذلك : شَرْوى . فهو من الفعل : شَراهُ يَشْرِيه . فشروى الشيء: مثلهُ ، لأن الشيء إنما يُشْرى بمثله .

أما : صَدْيا[٣] ، فلم تقلب فيها الياء واواً ، لأنها صفة لا اسم .

٤ ـ وتقلب ياء « فُعْلى » واواً إذا كانت عيناً في الاسم لا في الصفة ، مثل : طوبى لهم . فهو من : طاب الشيء يطيب ، وليست هنا مؤنث أطيب » لأنها لو كانت كذلك لوجب تعريفها بأل ، كما تقضي أصول استعمال اسم التفضيل .

أما في الصفة فلا تقلب الياء واواً في هذا الوزن ، بل تستبدل ضمة الفاء كسرة لتجانسَ الياء ، مثل : مِشْيَةٌ حِيكى ، أي : فيها تبختر وخيلاء .

---

(١) صيغة فعل يفعل تدل في لغة العرب على اكتساب صفة نفسية دائمة ، فإذا قلنا : قضى الحاكم بين الخصمين دلت كلمة « قضى » على أنه أطلق قضاءه في وقت مضى ، أما إذا قلنا : قضو المحامي . فإن معنى الفعل في العبارة يدل على أنه صار قاضياً وهكذا بقية الأفعال .

(٢) التاء فيه أصلها واو .

(٣) مؤنث : صديان . أي : عطشان .

قلنا في الفقرة السابقة : إن الياء عند العرب أخف من الواو ، ولهذا يقلبون الواو ياء في مواضع كثيرة ، إلّا أن هذا لا يعني أن الواو دوماً أثقل من الياء ، وحيثما وقعت، إذ أن الياء أحياناً تقع بعد الضمة ـ كما رأينا ـ وحينئذ يعسر نطقها فتقلب واواً .

على أننا نلاحظ في العربية مواضع يجب أن تقلب الياء فيها واواً ، ومع ذلك يحصل العكس ، من ذلك قولهم : التغازي ، فهذه الكلمة مصدر للفعل : تغازى ، وهو على وزن : تفاعل ، وما كان من الأفعال كذلك يكون مصدره على وزنه مع ضم العين منه ، وعلى هذا كان يجب أن يكون مصدر: تغازى تغازُواً، كما تقول في الصحيح، تقاتل تقاتلاً، ولكن الذي حصل إنما هو قلب الواو ياء، وإبدال ضمة الزاي كسرة لِتُجانِسَها، فصار المصدر: التغازي.

ومن البديهي أنهم في مثل هذا المصدر لا يقلبون الياء الأصلية واواً . كما في الترامي ، فإذا قلبوا الواو ياءً في مثله ، فأحْرِ بِهُمْ أن يبقوا الياء على لفظها ، ويبدلوا من الضمة قبلها كسرة للتجانس الصوتي .

رابعاً ـ قلب الواو والياء همزة[1] :

الهمزة وإن لم تكن من حروف العلة ، معرضة للإعلال ، ويكثر انقلابها عن حروف العلة كما يلي :

أ ـ تقلب الواو والياء همزة إذا تطرفتا بعد ألف زائدة ، مثل : سماء ، وقضاء . فالأولى منقلبة عن واو ، لأنها مصدر للفعل : سما يسمو ، فأصلها : سَماوٌ ، إلّا أنها قلبت همزة لتطرفها بعد الألف الزائدة . والهمزة

---

(١) جعل الرضي وابن الحاجب هذا المبحث في أنواع الإعلال . أنظر : شرح الشافية : ٧٦/٣ ، ١٢٧ ، ١٧٣ . والظاهرة فيما يبدو قديمة ترقى إلى اللغة السامية الأم ، وهي موجودة في الآرامية والأكدية . أنظر : برجشتراسر . التطور النحوي . ص ٣١ .

في الثانية منقلبة عن ياء ، لأنها مصدر الفعل : قضى يقضي ، فأصلها : قضايٌ ، فلما تطرفت الياء بعد ألف زائدة قلبت همزة .

ولكن إذا ألحِق بطرف الكلمة حرفٌ للتأنيث ، أو للتثنية ، فهل تظل الواو والياء متطرفتين وتجري عليهما قواعد الإعلال ؟

الواقع أن هناك نوعين من الأحرف الملحقة بأطراف الكلمات ، نوع دائم يلازم الكلمة ، مثل : هداية ، ونهاية ، ورِماية ، وغَباوة ، وشَقَاوَة . ونوع آخر طارىء يزول ، مثل : سَقّاءةٌ ، مؤنث سقاء ، وغَزّاءةٌ مؤنث غزّاء . هذا في علامة التأنيث ، وكذلك في التثنية ، فهناك مثنى لا واحد له من لفظه ، مثل : ثنايان ، وهو الحبل الذي يشد بأحد طرفيه يد البعير ، ويشد بطرفه الآخر اليد الثانية . فهذا ليس له مفرد ، فلا يقال : ثِناء .

فإذا كانت العلامة ملازمة للاسم ، كما في رماية وغباوة وثنايان ، وأضرابها ، فإن الإعلال لا يجري في الواو والياء ، كما هو واضح في الأمثلة ، لأن العلامة الملحقة أبعدتهما عن طرف الكلمة ، فصارتا في حروف الحشو ، ولهذا اختل شرط الإعلال فلم يَحْصُل ، ولكن شذ من ذلك قولهم : عَباءة .

وأما إذا كانت العلامة طارئة للفصل بين المؤنث والمذكر، أو المثنى والمفرد ، كما في سَقّاءة وسقاء ، وكساءان وكساء ، فإن الإعلال حاصل ، لأن العلامة الطارئة لم تَقْوَ على جعل حرف العلة في الحشو ، بل بقي طرفاً لأنه لم يُعتد بما لحق الكلمة من علامات التأنيث أو التثنية .

وينبغي أن نفرق بين الألف الزائدة والألف الأصلية مما يسبق الواو والياء ، فمثل آية ، وراية ، تقابل الألف في كل منهما عين الكلمة ، ووزنهما : فَعَلة ، وبهذا لا تجري فيهما قواعد الإعلال ، فلا تقلبان همزة ، فضلاً عن أن التاء فيهما لازمة على غرار « شقاوة ونهاية » .

ولقد قلنا في بداية الفقرة (أ) : إن الألف والياء تقلبان همزة إذا

تطرفتا بعد ألف زائدة . أما الصرفيون فيقولون : إن الواو في : سماوٌ ، والياء في قضاي ، تقلبان ألفاً ، فيصير اللفظان : سَمَاا ، وقَضَاا ، فلما التقت الألفان تحركت الثانية منهما ، فانقلبت همزة ، فصار ذلك إلى : سماء وقضاء .

أما لماذا قلبت كل من الواو والياء ألفاً في : سماو ، وقضاي ؟ فلا يخلو تعليلهم له من افتراض وتكلف ، فهم يذهبون إلى أنهما متحركتان . وما قبلهما ألف زائدة والزائد كالعدم فكأن الواو والياء المتحركتين وقعتا بعد فتحة ، ولذلك قلبتا ألفاً على القاعدة الإعلالية المعروفة .

فلو أن الألف الزائدة كالعدم ـ كما يزعمون ـ لوجب أن تقلب الواو والياء في مثل : رماية وغباوة ، ألفين ، فيقال : رمااة ، وغبااة ، فيلتقي حرفا مد ، كما حصل في : سماو ، وقضاي .

ب ـ وتقلبان همزة بعد الألف الزائدة في اسم الفاعل ، على أن تكونا معلتين في الفعل الماضي ، نحو : قائل ، أصله : قاول ، فلما وقعت الياء بعد ألف زائدة في اسم الفاعل قلبت همزة ، لأنها معلة في الفعل الماضي : قال . ومثله : بائع . أصله : بايع ، قلبت الياء فيه همزة لأنها معلة في الفعل الماضي .

أما « عاوِرٌ » فقد حافظت فيه الواو على أصلها ، ولم تقلب همزة ، لأنها في الماضي غير معلة ، نقول : عَوِرَ فلان . ومثله اسم الفاعل : عايِنٌ ، من الفعل الماضي : عَيِنَ .

جـ ـ وتقلب الواو والياء في الجمع همزة إذا كان على وزن « فعائل » أو ما شابهه ، ووقعتا بعد ألفه الزائدة . ويشترط فيهما هنا أن تكونا في المفرد حرفي مد زائدين . مثل : عجوز وعجائز ، حلوبة وحلائب ، ركوبة وركائب ، كتيبة وكتائب ، صفيحة وصفائح ، صحيفة وصحائف .

أما « جَداوِل » فلم تقلب فيه الواو همزة لأنها ليست حرف مد في المفرد « جَدْول » . وأما « معايِش » فلم تقلب فيه الياء همزة لأنها ليست زائدة في مفرده ، بل تقابل عين الكلمة ، وكذلك : « مصاوِب » جمع « مصيبة » لأن الواو عين الكلمة ، لا زائدة ، ومناوِر ، جمع منارة ، لأنها أصلها : مَنْوَرَةٌ[1] .

د ـ وإذا وقعت إحداهما ثانيَ حرفَيْ لِينٍ في كلمة ، فإنها تقلب همزة بعد ألف الجمع ، إذا كان على وزن « فعائل » أو ما شابهه ، مثل : نَيّف نيائف ، وأول ، أوائل ، وسيّد سَيائد ، سواء أكان اجتماع الياء مع الواو كما في الكلمة الأولى ، أم الواو مع الواو كما في الثانية ، أم الياء مع الواو كما في الثالثة .

ملاحظة :

تشترك الألف مع الواو والياء في قلبها همزة إذا وقعت بعد ألف جمعٍ على وزن : فعائل ، وما شابهه مثل : قِلادة قلائد ، ورِسالة رسائل .

وتقلب الألف ياء أيضاً إذا وقعت بعد كسرة ، مثل :

- مِصْباح ← مصابيح .
- مفتاح ← مفاتيح .
- مِقْلاد ← مقاليد .

وتقلب واواً إذا سبقت بضمة مثل : شُوَيْعِر ، وشُوهِدَ ، وقُوبِلَ .

---

(١) قال العرب: معائش ومصائب، ومنائر، وقد نسب إلى نافع، وهو مقرىء أهل المدينة. أنه قرأ: ﴿ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معائش﴾ (الأعراف ٧) وقد عد قدماء النحاة هذه اللغة غلطاً من العرب ومن المقرىء، وقبلها بعض متأخريهم، والصحيح أنها كانت قليلة، ولكنها لم تسمع من عربي واحد بل من كثيرين، وما قاله كثير من الفصحاء يصبح لغة صحيحة.

قلب الواو همزة

١ ـ قلب واجب :

ينطلق هذا القلب من ظاهرة صوتية ، إذ كان القلب هنا جنوحاً إلى التخفيف ، وهرباً من ثقل اللفظ ، وذلك أنه إذا اجتمعت واوان في أول الكلمة ، وكانت الأولى منهما أصلية غير منقلبة . ولا زائدة ، وكانت الثانية غير منقلبة عن ألف (فاعل) أدى اجتماعهما إلى لفظ ثقيل ، كما ترى في محاولتك لفظ الكلمات الآتية :

الوَوَاقي : (جمع واقية) وَوَاصل : (جمع واصلة) الوُوَيْدي : (تصغير الوادي) وُيَيْقة : (تصغير واقية) .

ولئلا يثقل اللفظ على ألسنتهم ، قلبوا الواو الأولى همزة قلباً واجباً ، فقالوا : الأواقي ، وأواصل ، والأُوَيْدي ، وأُوَيّقية . أُوَيّقَة

وإنما كان اللفظ ثقيلاً في حاله الأولى لأن اجتماع حرفين متماثلين في بدء الكلمة من شأنه أن يؤدي إلى الثقل ، ومن أجل ذلك قلت الكلمات المبدوءة هذا البدء ، مثل : ببْر[١] ، دَدَن[٢] . وهي لا تزيد على ست كلمات ، منها ثلاث مُعَرّبة .

ثم إن الواو من أثقل الحروف . ولهذا تراها كثيرة التحول ، فهي تقلب ياء ، وألفاً ، وهمزة ، وتاء ، و . . . فكيف إذا اجتمعت واوان في بدء الكلمة ؟

٢ ـ قلب جائز كثير :

ويجوز قلبها همزة في موضعين :

---

(١) الببر : نوع من السباع يشبه النمر . وهو معرب .
(٢) الددن : اللهو واللعب .

الأول : أنه إذا اجتمعت واوان في بدء الكلمة ، وكانت الثانية حرف مد زائداً ، كما لو بنيت فعلاً مبنياً للمجهول من الفعل (واعد) ، والفعل (وارى) ، تقول : وُوعِدَ ، وأُوعِدَ ، ووُرِيَ وأُورِيَ .

والثاني : أن تكون مخففة مضمومة ضمة لازمة ، سواء أكانت في بدء الكلمة أم في حشوها ، مثل : وُجوه وأُجوه ، ووُقتت وأُقتت ، وأُثُوب وأثؤب ، وأُدُور وأَدْؤُر .

أما إذا كانت الضمة عارضة أو للإعراب فلا يجوز قلبها همزة ، مثل : « اشتروا الضلالة » (البقرة ١٦) ومثل : « لا تَنْسَوُا الفضلَ » (البقرة ٢٣٦) ومثل : هذا دَلْوٌ ، وهذا غزوٌ .

وإنما جاز القلب هنا لأن الضمة بعض الواو ، وعلى هذا بدا الصوت على شيء من الثقل ، ولكنه أخف من صوت الواوين الكاملين .

٣ـ قلب جائز قليل

وسمع قلب الواو المكسورة همزة إذا كانت في أول الكلمة ، مثل : إشاح ، إعاء ، إفادة ، إلدة .

والواو المكسورة ثقيلة في أول الكلمة ، ولهذا كان قلبها في هذه الكلمات هرباً من الثقل ، وجنوحاً نحو الخفة ، حتّى لقد عده أبو عثمان المازني قلباً قياسياً ، ولكن الجمهور يراه سماعاً .

وسمع قلب بعض الكلمات المبدوءة بواو مفتوحة همزة ، مثل : أناة ، في وناة ، وأجَمَ ، في وَجَمَ ، وأحد ، في وحد[1] .

---

(١) قد تقلب الياء همزة كذلك ، مثل : أُدَيَّةٌ . تصغير (يَدٌ) . وأصلها : يدية . وذكروا أن من العرب من يقول : أَثْرب . بدلاً من : يثرب .